السّيرةُ النّبويّة للبراعم

(٤٥)

فِيْ وَدَاعِ صَاحِبِ الخُلُقِ العَظِيمِ ﷺ

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

... وَنَحْنُ نُوَدِّعُ الحَبِيْبَ ﷺ

تَعَالَوا يَا أَحِبَّتِي البَرَاعِمَ وَقَدْ شَارَفْنَا عَلَىٰ نِهَايَاتِ سِيْرَةِ حَبِيْبِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَقَدْ اسْتَفَدْنَا الكَثِيْرَ الكَثِيْرَ.

تَعَالَوا لِنَتَوَقَّفَ مَعَ نَمَاذِجَ مِنْ أَخْلاقِهِ ، عَسَىٰ أَنْ تَكُوْنَ لَنَا دُرُوسَاً وَعِبَرَ ، فَنَجْعَلُ تِلْكَ النَّماذِجَ وَأَمْثَالَها الأُسْوَةَ ، وَالقُدْوَةَ في حَياتِنَا .

كَيْفَ لا ، وَاللهُ تَعَالىٰ أَرْشَدَنَا إلى الأُسْوَةِ ، وَالقُدْوَةِ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ

يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1] .

فَذَلِكُمَ الرَّسُولُ ﷺ قَدْ أُوتِيَ حُسْنَ الخُلُقِ ، وَهُوَ الَّذِي عَلَّمَ النَّاسَ ذَلِكَ : « إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُم أَخْلاقاً » .

وَقَدْ رَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنْ حُسْنِ خُلُقِ المُصْطَفَىٰ ﷺ ، فَقَالَ :

خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ صلوات اللهِ وَسَلامُهُ عليه ، في الحَضَر ، والسَّفَرِ قُرَابَةَ تِسْعِ سِنِيْنَ ، فَوَاللهِ مَا قَالَ لي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ : لِمَ صَنعْتَ هَذَا هَكَذا ، ولا لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ : لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا!

وَكَمَا نَعْلَمُ ، فَأَخْبَرُ النَّاسِ بِالإِنْسَانِ زَوْجَتُهُ وَأَوْلادُهُ ، وَتِلْكَ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ

---

(١) سورة الأحزاب : ٢١ .

تُسْأَلُ عَنْ خُلُقِ الرَّسُولِ ﷺ ، فَتُوْجِزُ بِالقَوْلِ : فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ كَانَ القُرْآنُ .

وَذَلِكُمْ عُرْوَةُ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ يَقُوْل وَهُوَ يَصِفُ جَانِبَاً مِنْ جَوَانِبِ الأَخْلاقِ النَّبَوِيَّةِ :

مَا كَانَ أَحَدٌ أَحْسَنَ خُلُقَاً مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، مَا دَعَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَلا مِنْ أَهْلِهِ إلا قال : لَبَّيْكَ! وَلِذَلِكَ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1] .

وَمَا أَجْمَل أَنْ نَتَوَقَّفَ عِنْدَ بَعْضِ النَّمَاذِجِ مِنْ أَخْلاقِ المُصْطَفَىٰ ﷺ .

* * *

(١) سورة القلم : ٤ .

حَبِيْبُنَا ﷺ هُوَ الرَّحْمَةُ المُهْدَاةُ

لَمَّا عُذِّبَ المُصْطَفىٰ ﷺ ، وَصَحابَتُهُ مِنْ قِبَلِ مُشْرِكِي مَكَّةَ ، قَالَ أَحَدُهُمْ :

يا رَسُولَ اللهِ! ادْعُ عَلَىٰ المُشْرِكِيْنَ .

فَقَالَ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ : « إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّاناً ، وَإِنَّما بُعِثْتُ رَحْمَةً » .

وَلِذَلِكَ كَانَ حَرِيْصاً عَلَى أُمَّتِهِ ، رَحِيْماً بِهِمْ ، مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ العَاصِ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلا قَوْلَ اللهِ تَعَالىٰ فِي إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلامُ : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي

فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1] .

وَتَلا قَوْلَ أَخِيْهِ عِيْسَىٰ عَلَيْهِ السَّلام : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2] .

فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ : « اللَّهُمَّ! أُمَّتِي أُمَّتِي » ، وَبَكَىٰ .

فَقَالَ الله عزَّ وجَلَّ : يَا جِبْرِيْلُ! اذْهَبْ إلى مُحَمَّد ـ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ ـ فَسَلْهُ مَا يُبْكِيْكَ ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيْلُ فَسَأَلَه ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ ، وَهُوَ أَعْلَمُ ، فَقَالَ الله : يَا جِبْرِيْلُ! اِذْهَبْ إلى مُحَمَّدٍ ، فَقُلْ : إِنَّا سَنُرْضِيْكَ فِي أُمَّتِكَ ، وَلا نَسُوْءُكَ .

---

(١) سورة إبراهيم : ٣٦ .

(٢) سورة المائدة : ١١٨ .

وَكَانَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عليه رَحِيْمَاً بِالأَهْلِ ، وَالأَوْلادِ ، وَالنِّسَاءِ ، دَلِيْلُ ذَلِكَ قَوْلُه : « مَنْ فَرَّق بَيْنَ الوَلَدِ وَأُمِّهِ فَرَّقَ الله بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحِبَّتِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ » .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعَةٍ ، وَعَلَىٰ ظَهْرِهِ الحَسَنُ ، وَالحُسَيْنُ ـ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ـ وَهُوَ يَقُوْلُ : « نِعْمَ الجَمَلُ جَمَلُكُما! وَنِعْمَ العِدْلانِ[1] أَنْتُمَا! » .

وَكَانَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ رَحِيْمَاً حَتَّىٰ بِالحَيْوَانِ ، دَلِيْلُ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ ابْنُ عُمَرَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ

---

(١) العِدْل : هو نصف الحِمْلِ يكون على أحدِ جنبيِّ البعير .

في هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا ، فَلَم تُطْعِمْها ، وَلَمْ تَدَعْهَا تأكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْض » .

* * *

حَبِيْبُنَا ﷺ يُعَلِّمُنَا الرِّفْقَ بِالنَّاسِ

وفي مَجَالاتِ التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ نَتَعَلَّم مِنْ سِيْرَةِ الرَّسُولِ الأَعْظَمِ ـ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ ـ الرِّفْقَ بِهِمْ ، وَمُدارَاتِهُمْ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ : دَخَلَ أعرابيٌّ المَسْجِدَ ، وَرَسُولُ اللهِ جَالِسٌ بَيْنَ الصَّحَابَةِ ، فَوَقَفَ في نَاحِيَة المَسْجِدِ وَرَاحَ يَبُولُ ، فَقَامَ إِلَيْهِ الصَّحَابَةُ ، فَاشَارَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ قائِلاً : « دَعُوهُ ، وَأَهْرِيْقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوباً ـ أَيْ : دَلْواً ـ مِنْ مَاءٍ ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُم مُيَسِّرِيْنَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِيْنَ » .

عِنْدَ ذَلِكَ قَالَ الأَعْرَابِيُّ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِيْ وَلِمُحَمَّدٍ وَلا تَغْفِرْ لأَحَدٍ مَعَنَا!

فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ : « لَقَدْ احْتَظَرْتَ وَاسِعَاً » .

* * *

حَبِيْبُنَا ﷺ يُعَلِّمُنَا التَّوَاضُعَ

تَعَالَوا يَا أَحِبَّتي البَرَاعِمَ لِنَتَعَلَّمَ مِنْ سِيْرَةِ المُصْطَفَىٰ ﷺ دُرُوساً في التَّوَاضُعِ .

مِنْ ذَلِكَ مَا رَواهُ الأَسْوَدُ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ في أَهْلِهِ ؟

قَالَتْ : كَانَ في مِهْنَةِ أَهْلِهِ ، يَخِيْطُ ثَوْبَهُ ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ ، وَيَحْلِبُ شَاتَهُ ، وَيَخْدِمُ نَفْسَهُ ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ في بُيُوتِهِمْ.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ جَرِيْرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ : أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ تَرْتَعِدُ

فَرَائِصُهُ ـ أَيْ : يَرْجُفُ مِنْ شِدَّةِ الخَوْفِ ـ.

قَالَ : فَقَالَ لَهُ : « هَوِّن عَلَيْكَ ، فَإِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، كَانَتْ تَأْكُلُ القَدِيْدَ ـ : هو اللحم المجفّف ـ في هَذِهِ البَطْحَاءِ » .

قَالَ : ثُمَّ تَلا جَرِيْرٌ : ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[1] .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ الله عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال : « اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِيْناً ، وَأَمِتْنِي مِسْكِيْناً ، وَاحْشُرْنِي في زُمْرَةِ المَسَاكِيْنِ يَوْمَ القِيَامَةِ » .

فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ الله عَنْهَا : لِمَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : « إِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ قَبْلَ

---

(١) سورة ق : ٤٥ .

أَغْنِيَائِهِمْ بِأَرْبَعِيْنَ خَرِيْفاً ، يَا عائِشَةَ لا تَرُدِّي المِسكِيْنَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، يَا عَائِشَةُ أَحِبِّي المَسَاكِيْنَ ، وَقَرِّبِيْهِمْ ، فَإِنَّ الله يُقَرِّبُكِ يَوْمَ القِيَامَةِ » .

* * *

حَبِيْبُنَا ﷺ يُعَلِّمُنَا الكَرَمُ وَ الجُوْدَ

وفي مَجَالاتِ الجُوْدِ وَالْكَرَم تُعَلِّمُنَا سِيْرَةُ المُصْطَفَىٰ ﷺ الكَثِيْرَ الكَثِيْرَ ، منها مَا رَوَاهُ سَهْلُ ابْنُ سَعْدٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ : جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ بِبُرْدَةٍ ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي نَسَجْتُ هَذِهِ بِيَدِي أَكْسُوكَهَا ، فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُحْتَاجاً إِلَيْهَا ، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا لأَزَارُهُ ، فَجسَّهَا رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ! اكسُنِيْهَا ، قَالَ : « نَعَمْ » ، فَجَلَسَ مَا شَاءَ الله في المجلس ، ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَاهَا ، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ القَوْمُ : مَا أَحْسَنْتَ ، سَأَلْتَها إِيَّاهُ ، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لا يَرُدُّ سَائِلاً .

فَقَالَ الرَّجُلُ : وَاللهِ مَا سَأَلْتُهَا إلا لِتَكُونَ كَفَنِي يَوْمَ أَمُوتُ ، قَالَ سَهْلٌ : فَكَانَتْ كَفَنَهُ!!!

وَآخِرُ دَعْوانا أنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمين

* * *